المظاهر الحضارية في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (206 ـ 238 هـ/ 821 ـ 852 م)

م.م.هدية محمد حميد*

تاريخ التقديم: 2008/5/20 تاريخ القبول: 2008/6/25

المقدمـة:

بدأت بوادر الحضارة الإسلامية في الأندلس بالظهور منذ أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط[1] والذي تولى الحكم سنة (206 . 238 هـ/ 821 . 852 م) بعد وفاة والده الحكم بن هشام دون أن يلاقي أية صعوبة أو منافسة من أخوته، ولعل الدور الذي اضطلع به الأمير عبد الرحمن الأوسط في عهد والده كان من أهم الأسباب التي قدّمته على غيره، فقد قاد حملات عديدة برزت من خلالها قابلياته وتميز عن غيره في كثير من الخصال[2].

---

* قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

(1) هو الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الابن الأكبر للحكم بن هشام، ويكنى أبا المطرف، ويعرف بالأوسط للتمييز بينه وبين اثنين يحملان الاسم نفسه هما: عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الناصر، ولد سنة 176 هـ/ 792 م في طليطلة. ينظر: الحميدي، محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس (القاهرة: 1966)، ص 10 ؛ الضبي، أحمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (القاهرة: 1967)، ص 14 ؛ ابن سعيد، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف (مصر: 1964): 1/ 45 ؛ ابن عذاري، أبو عبد الله أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وبروفنسال (بيروت: د/ ت): 2/ 80 ؛ المراكشي، محي الدين أبو محمد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب (القاهرة: 1949)، ص 48 ؛ المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: 1968): 1/ 347.

(2) الحجي، عبد الرحمن علي، اندلسيات، المجموعة الأولى (بيروت: 1969)، ص 161.

يعد الأمير عبد الرحمن من بناة الحضارة في الأندلس، فقد ورث دولة موطدة الأركان في الداخل ترهبها الممالك الأسبانية الشمالية مما أعطاه ميزة وظفت باتجاه استحداث وتطوير نظم الدولة بناءً على حاجة وضرورة اقتضتهما أمور السياسة الداخلية وتشعب المهام خلال هذه الفترة، فتعددت مناصب الوزارة وتطور نظام الشرطة، وكان لهجوم النورمان سنة 229 هـ/ 843 م وتهديده لسيادة وأمن البلاد أثر كبير في بناء قوة بحرية دخلت حلقات من التطور بعد ذلك غدت قوة مؤثرة في المنطقة في عصر الخلافة، كما شمل الاهتمام بالقوة البحرية اهتمام وعناية بقواعد الأسطول ومراسيه وتزويدها بما تحتاجه من عوامل التحرك السريع لرد أيّ عدوان أو خطر خارجي (3)، وبذلك تكون أعمال عبد الرحمن الأوسط مرتبطة في الأساس بأبعاد سياسية وأمنية، هذا فضلاً عن اهتمامه بتشجيع الحركة العلمية، ولا عجب فهو الشاعر الأديب الذي أجمعت المصادر على أنه كان أديباً وفقيهاً وحافظاً للقرآن وراوية للحديث (4).

كما أولى الحركة العمرانية جانباً كبيراً من اهتمامه، إذ عنى ببناء المدن والقصور والمساجد وغيرها، ولو ناقشنا أسباب ازدهار الحضارة في عهده فمن الممكن القول إن فترات المهادنة السياسية هي أكثر الفترات ملائمةً لازدهار الحضارة وتطور الفكر، فمتى ما توفرت الإمكانيات وتهيأت الظروف المناسبة، وكان هناك مجال واسع للتطور والازدهار الفكري والحضاري (5). فعصره عصر هدوء واستقرار (6)، مهد له وأرسى قواعده والده الحكم الذي تمكن من إخماد كافة

---

(3) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع (بيروت:1957)، ص 84.

(4) ابن القوطية، تاريخ، ص 80 ؛ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي (بيروت: 1973)، ص 89 ؛ ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس (القاهرة: 1963): 1/ 113 ؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ (بيروت: 1965): 7/ 69.

(5) ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: ذوقان قرقوط (بيروت: د/ ت)، ص 50.

(6) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر (د/ م: 1971): 4/ 130.

التمردات الداخلية ورد كيد القوات الأسبانية الشمالية في أماكن عديدة، فلا غرابة أن أصبح عصره عصراً يُعد بحق أمثل عصور الأمارة الأندلسية في مجالات كثيرة، سنتعرض لها بالحديث ابتداءً بأنظمة الحكم وانتهاءً بالحركة العمرانية، وإبراز نواحي التطور والتجديد التي أضافها الأمير عبد الرحمن والتي تتحدد بما يلي:

1 . تطور نظم الحكم.
2 . النظم العسكرية.
3 . الحركة العلمية.
4 . التطور الاقتصادي والاجتماعي.
5 . الحركة العمرانية.

1 . تطور نظم الحكم في عصره:

اقتضت الضرورة أن يكون لأي كيان إداري مؤسسات تقف إلى جانب هذا الكيان، بل وتنظم أموره، ولم تكن الأندلس بعيدة عن التنظيم الإداري لمؤسسات الدولة، فكان على رأس السلطة أمير يعاونه مجموعة من كبار رجال السياسة والقضاء يقوم بتعيينهم في مناصب معلومة منهم الحجّاب والوزراء والقضاة والفقهاء، وتكون مجمل مهامهم مرتبط بالعاصمة المركزية قرطبة.

1/ الحجابة [7]:

ظهرت الحجابة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (138 . 172 هـ/ 755 . 788 م) وهي مقتبسة من أنظمة الدولة الأموية في المشرق [8]، وكان هذا المنصب من أهم المناصب التنفيذية وأرفعها مقاماً في الدولة، فقد كان الحاجب بمثابة رئيس الوزارة، وهو حلقة الوصل بين الأمير وبقية الوزراء وكبار رجال الدولة [9]. ووصل البلاط الأموي في عهد الأوسط إلى درجة كبيرة من التقدم بشكل لم يسبق له مثيل [10]، فهو أول من فخّم السلطنة في الأندلس وانتقى الرجال لشغل المناصب الكبيرة في دولته [11]. وقد تناوب على منصب الحجابة مشاهير من رجالات الدولة في الأندلس وهم ما بين قائد للجيش وصاحب قلم أو خدمة طويلة في بلاط الإمارة، وظلّ ذلك من بين أهم الشروط الواجب توفرها في متولي هذا المنصب، والأمثلة على ذلك كثيرة لا تقبل الشك فمن حجّابه:

عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث (ت 209 هـ/ 824. 825م)[12]، وهو من أسرة رسخت مقامها في الأندلس وبرز منها العديد من القادة والحجاب منهم

---

(7) **الحاجب:** "هو من يُبَلّغْ الأخبار عن الرعية إلى الإمام ويأخذ لهم الأذن منه، وسمي حاجباً لأنه يحجب الخليفة أو الأمير عمّن يدخل إليه بغير أذن.... ". ينظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الأنشا (القاهرة: د/ ت): 5/ 449. 450؛ دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية،محمد سليم النعيمي (بغداد: 1981): 3/ 562، مادة حجب؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة (دار البيان: د/ ت): 1/ 240.

(8) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر (القاهرة:1960): 1/ 194.

(9) ابن خلدون، المقدمة: 1/ 240 ؛ ناجي معروف، المدخل في تاريخ الحضارة العربية (بغداد: 1960)، ص 30 ؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (القاهرة: 1973)، ص 33 ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلسي (الموصل: 1986)، ص 67.

(10) الشعراوي، أحمد إبراهيم، أمراء الأندلس الأُوَل (القاهرة: 1969)، ص 277.

(11) ابن سعيد، المغرب: 1/ 45.

(12) ابن الآبار، الحلة السيراء: 1/ 135.

عبدالكريم الذي تولى الوزارة والقيادة والكتابة إلى جانب تولية منصب الشرطة [13]، وسفيان بن عبد ربه (ت 211 هـ/ 826 م)، تولى الحجابة بعد وفاة عبد الكريم، وسبق وتولى خدمة الخزانة الكبرى أيام الأمير الحكم وهو أول من استخزن بالأندلس[14]، وعيسى بن شهيد (ت 243 هـ/ 857م)، وهو من أسرة بني شهيد أكبر الأُسر الأندلسية وأشهرها في عصر الإمارة والخلافة، تولى الحجابة والوزارة والقيادة والكتابة والنظر في المظالم، وكانت ولايته للحجابة سنة (218 هـ/ 833 م) وبقي فيها حتى وفاته[15].

وتولى الحجابة أيضاً: عبد الرحمن بن رستم، وعبد الله بن أمية بن يزيد (ت 246 هـ/ 860 م)[16]، وعبد الرحمن بن غانم (210 هـ/826)[17].

2/ الوزارة:

يقول ابن خلدون: وأما دولة بني أمية في الأندلس فانفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسموا خطته أصنافاً وأفردوا لكل صنف وزيراً [18].

ولقد أهتم الأمير عبد الرحمن الأوسط بهذا المنصب، وأورد ابن عذاري تسعة وزراء [19] أُنيطت بهم مهام مختلفة جمعتهم داراً خاصة سميت بـ " **بيت الوزارة** "[20]، " ورتب اختلافهم إليه في كل يوم يستدعيهم معه أو من يختص منهم

---

(13) ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 444 . 445، هامش (82) ؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: 1/ 135 . 136.

(14) ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 83. 84 ؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص25.

(15) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 94 . 95؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 26 . 27 ؛ ابن عذاري، البيان: 2/ 80، 2/ 87.

(16) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 83 ؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 27.

(17) ابن حيان، المصدر السابق، ص 77.

(18) المقدمة: 1/ 239.

(19) البيان: 2/ 80.

(20) ابن سعيد، المغرب: 1/ 46.

أو يخاطبهم برقاع فيما يراه من أمور الدولة" [21]. " وكان راتب الوزير ثلاثمائة دينار في الشهر" [22]. ومن أبرز من تولى الوزارة في عهده:

العباس بن عبد الله القرشي (ت 219 هـ/ 834 م)، الوليد بن عبد الله القرشي، عبيد الله بن يحيى بن خالد، عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، عبد الرؤوف بن عبد السلام (توفي في عهد الأمير محمد)، عيسى بن شهيد، عبد الرحمن بن رستم، محمد بن السليم [23]، محمد بن السلام بن بسيل، عبد الواحد بن يزيد الأسكندراني (ت 237 هـ/ 851ـ 852 م)، عبد العزيز بن هاشم بن خالد، عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم، محمد ابن كليب بن ثعلبة (ت 220 هـ/ 835 م أو 226 هـ/ 841 م)، عبد الله بن أمية بن يزيد، حسن بن عبد الغافر بن أبي عبدة. وقد اجتمع للأمير من أحسن الوزراء من أُولي الحلم والنهي والمعرفة والذكاء ما لم يجتمع عند أحد غيره من الأمراء لا قبله ولا بعده[24].

3/ الكتابة:

من الوظائف المهمة وصاحبها يسمى الكاتب، وكان له "حظ في القلوب والعيون" [25]، وكان يُختار وفق شروط خاصة أوجزها ابن خلدون بقوله: "إن صاحب هذه الخطة لابد من أن يتخير أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم وعارضة البلاغة،فإنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل مع ما يضطر إليه في الترسيل وتطبيق مقاصد صدر الكلام من البلاغة وأسرارها"[26].

---

(21) نفس المصدر السابق.

(22) ابن عذاري، البيان: 2/ 80.

(23) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 90.

(24) ابن حيان، المصدر السابق، ص 28 . 30.

(25) المقري، نفح الطيب: 1/ 17 ؛ أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة (الإسكندرية: 1983)، ص 295.

(26) المقدمة: 1/ 247.

وأول من استكتب الأمير هو محمد بن سعيد الزجالي التاكرني (ت 232 هـ/ 847 م)، وكان معروفاً بهذه الصناعة مشاراً إليه بالذكاء وحتى لقّب بالأصمعي[27]. هذا فضلاً عن آخرين مارسوا الكتابة للأمير، مثل عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث مثلاً، عبد الله بن محمد بن أمية بن يزيد، وسفيان بن عبد ربه، وعيسى بن شهيد [28].

4/ القضاء:

تعد خطة القضاء في الأندلس من أعظم الخطط وأسماها عند الخاصة والعامة، وذلك لتعلقها بأمور الدين [29]، ولا يتولى أمر هذا المنصب إلاّ بعد توافر شروط كثيرة؛ منها المعرفة بعلوم الشريعة الاسلامية والعدالة والنزاهة[30].

وكان القاضي في عصر الولاة يسمى " **قاضي الجند** "، وفي عهد الإمارة أصبح قاضي قرطبة يلقب بـ " **قاضي الجماعة** " [31] نسبةً إلى جماعة القضاة، والظاهر أن القضاء قد وصل أعلى درجات الاكتمال خلال هذا العصر، فقد وُجِدَ مجلس الشورى أو مجلس النشمة، حيث كان يضم قاضي الجماعة وكبار فقهاء الأندلس، وينعقد بناءً على طلب من الأمير للنظر في الأمور الهامة [32]، وكان يتصل بنظام القضاء وظائف أخرى لأصحابها دور في تسيير أمور القاضي منهم القَوْمَة الذين كانوا يتولون مهمة استدعاء الخصوم إلى مجلس القضاء، والأمناء الذين يشرفون على الودائع والتركات وصاحب الوثائق الذي يختص بتقديم الوثائق

---

(27) ابن سعيد، المغرب: 1/ 330 . 331.

(28) ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 31.

(29) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس (بيروت: 1980)، ص 2.

(30) ينظر: ابن عبدون، محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال (القاهرة: 1955)، ص 7– 8؛ النباهي، قضاة الأندلس، ص2 . 6.

(31) الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني، قضاة قرطبة (القاهرة: 1966)، ص 14، 18.

(32) الخشني، قضاة قرطبة، ص 92، 101 ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص 430.

الخاصة بالدعاوى، هذا فضلاً عن الكاتب الذي يدوّن ما يدور في مجلس القضاء[33].

وأبرز من تولى منصب القضاء في عهده:

مسرور بن محمد بن سعيد بن بشير المعافري، تولى قضاء الجماعة بقرطبة سنة (207 هـ/ 823 م)، وكان من الزهّاد الصالحين [34]، ويحيى بن معمر الالهاني (ت 229 هـ/ 843 م) [35]، وهو من العرب الشاميين، وله رحلة [36]، والأسوار بن عقبة النصري، من جيان، تولى قضاء الجماعة بقرطبة سنة (210هـ/ 825 م)، وكان من أهل الخير والتواضع [37]، ويخامر بن عثمان الشعباني، من جيان، تولى سنة (220 هـ/ 835 م) وعامل الناس بصلابة فعزله الأمير [38]، وإبراهيم بن العباس القريشي، وتولى سنة 223هـ . 831م وكان عادلاً في حكمه[39]، وعلي بن أبي بكر الكلابي، من قبرة، تولى سنة 227 هـ . 841 م[40].

---

(33) الخشني، قضاة قرطبة، ص114 ؛ النباهي، قضاة الأندلس، ص 57.
(34) الخشني، قضاة قرطبة، ص44؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 49.
(35) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص87.
(36) ينظر: الخشني، قضاة قرطبة، ص 45 . 51.
(37) الخشني، قضاة قرطبة، ص 48؛ ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس (مصر: 1966): 1/ 88 . 89.
(38) الخشني، قضاة قرطبة، ص 54. 55؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس: 210/2.
(39) الخشني، قضاة قرطبة، ص51. 54؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 62.58.
(40) الخشني، قضاة قرطبة، ص 55 ؛ ابن حيان، المصدر السابق، ص 68.

وممن تولى القضاء في عهده معاذ بن عثمان الشعباني [41]، ومحمد بن زياد اللخمي[42]، وسعيد بن سليمان الغافقي[43]، وسعيد بن القاضي محمد بن بشير المعافري[44]، وسعيد ابن سليمان [45].

2 . النظم العسكرية في عهده:

أ/ الجيش:

لقد كانت السياسة الجهادية في الحقيقة محكاً عملياً للنظام في الأندلس، فمن خلالها يقوم نجاح أو فشل الأمير الحاكم، وفي عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط كانت الظروف مواتية لتحريك الجيوش، وخصوصاً نحو حدود الدولة في الشمال.

وقد أكد الأمير على الاهتمام بالناحية العسكرية، واشتهر في عهده عدد لا بأس به من الشخصيات والقادة العسكريين،فضلاً عن قيادة الحملات العسكرية بنفسه في بعض الأحيان، وأحياناً يوعز إلى أولاده بتولي قيادة بعض الحملات مثل محمد بن عبد الرحمن (238 . 273 هـ/ 852 . 886 م) الذي غزا بالصائفة جليقية [46].

ومن أبرز القادة العسكريين:

عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، وأمية بن معاوية بن هشام [47]. عبيد الله بن عبد الله البلنسي، والذي قاد الصوائف وأطلق عليه لقب " **صاحب الصوائف** " [48].

---

(41) الخشني، قضاة قرطبة، ص 55. 57؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 59 ؛ ابن حيان المصدر السابق، ص 3، 68 . 71.

(42) الخشني، قضاة قرطبة، ص 57 . 61 ؛ وينظر: ابن حيان، المصدر السابق، ص 3، 17، 71. 75 ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص 76 ؛ النباهي، قضاة الأندلس، ص 55 . 56.

(43) الخشني، قضاة قرطبة، ص 61. 65 ؛ ابن حيان، المصدر السابق، ص 17 ؛ النباهي، قضاة الأندلس، ص 545.

(44) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 80 ؛ ابن حيان، المصدر السابق، ص 78.

(45) ابن حيان، المصدر السابق، ص 50 . 54 ؛ وينظر: ابن عذاري، البيان: 2/ 88.

(46) ابن عذاري، البيان: 2/ 88.

(47) ابن الآبار، الحلة السيراء: 1/ 135 ، هامش (1).

(48) ابن الآبار، الحلة السيراء: 2/ 364.

وعبد الله بن كليب (توفي في عهد هشام بن عبد الرحمن)، ومحمد بن رستم، وكان لهم دور كبير في صد المجوس الذين دخلوا أشبيلية سنة 230 هـ/ 844 م. وبرز الحاجب عيسى بن شهيد كعسكري نشط، حيث كان في الحملة التي وجهت إلى أشبيلية [49].

ب/ الشرطة:

من الخطط التي استحدثت في الأندلس أول عصر الأمارة، أوجدها عبد الرحمن الداخل لضرورات أمنية تحرساً من أعدائه والطامعين في السلطة[50]، ومن ثم أخذت في طريق التوسع والتخصص في أمور تخص الأمن العام، فوجدت على عهد الأمير عبد الرحمن الشرطة العليا (الكبرى)، والشرطة الوسطى، وطبيعي أن تتحدد صلاحيات واختصاصات متولي كل خطة بين هاتين الخطتين، فمتولي الشرطة العليا يمتلك صلاحيات واسعة تمكنه من أداء مهماته الموكلة إليه، وهي الحكم فيما يخص علية القوم وكبار رجالات الدولة [51]، ولا يتولاها إلاّ كبار رجال الدولة، لأن متوليها غالباً ما يرشح إلى منصب أعلى كالوزارة أو الحجابة[52].

ويقول ابن خلدون: بأن لصاحب الشرطة العليا (الكبرى) كرسي بباب دار الإمارة، وتحت إمرته أعوان يقومون بتنفيذ أوامره. أما متولي الشرطة الصغرى فينظرون في أمور وقضايا العامة[53].

---

(49) ابن عذاري، البيان: 2/ 87 . 88 ؛ وينظر: ابن الآبار، الحلة السيراء: 2/ 372.

(50) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة (مدريد: 1867)، ص 91 ؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: 2/ 354 . 355 ؛حسين مؤنس، فجر الأندلس (القاهرة: 1959)، ص 685؛ ينظر: الدوري، إبراهيم ياس خضير، عبد الرحمن الداخل (بغداد: 1982)، ص 251.

(51) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 29 ؛ وينظر: محمد عبد الوهاب خلاف، صاحب الشرطة في الأندلس، بحث منشور في مجلة أوراق، يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد، العدد الثالث، 1980، ص 72، 73.

(52) المقدمة: 1/ 251، 252.

(53) المقدمة: 1/ 251.

وعُرفت في عهد الأمير عبد الرحمن شرطة العدو [54]، ومن المحتمل جداً أن يكون صاحبها مرافقاً للحملات العسكرية، وأول من تولى هذا المنصب في عهده هو محمد ابن كليب، كان مسؤولاً عن الشرطة في عهد أبيه فأبقاه عليها، ثم رقي بعد ذلك إلى منصب الوزارة [55]، وتولى هذا المنصب، سعيد بن عياض القيسي[56]، وحارث بن أبي سعد [57]، ومحمد بن الحارث بن أبي سعد [58] اللذان توليا أحكام الشرطة الصغرى.

ج/ ولايـة السوق:

هذه الخطة وجدت في الأغلب في الأندلس منذ عصر الولاة [59]، وهي تماثل الحسبة في المشرق وصاحبها يسمى بـ " **صاحب السوق** " كما يسمى " **صاحب الحسبة** " محتسباً في المشرق [60].

---

(54) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 38.

(55) المصدر السابق نفسه.

(56) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس: 1/ 162 ؛ ابن حيان، المصدر السابق، ص 38.

(57) **الحارث بن أبي سعد**، هو مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية، يكنى أبا عمرو اسم أبي سعد سابق وله رحلة، وكان يفتي في آخر أيام الأمير الحكم بن هشام وأول أيام عبد الرحمن وهو جد بني حارث الذين كانت فيهم الخطط ولم يزل على أحكام الشرطة الصغرى إلى أن توفي سنة 221 أو222 هـ. وينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص 200؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس:1/ 105 ؛ ابن حيان، المصدر السابق، ص38، 80.

(58) محمد بن الحارث بن أبي سعد، (ت 260 هـ . 873 م)، من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله روى عن أبيه كثيراً، وعن يحيى ابن يحيى وعبد الملك بن حبيب، وحجّ فسمع بمكة وبمصر من غير واحد. ينظر: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس: 2/ 8 ؛ القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك (بيروت: 1965): 3/ 153.

(59) فكري، قرطبة، ص 300.

(60) ابن حيان، المصدر السابق، ص 186 ؛ الكبيسي، خليل إبراهيم، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة (بغداد: 1980)، ص 175.

وقد كانت هذه الخطة مرتبطة بولاية المدينة (**أحكام الشرطة**) حتى زمن الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي فصل هذه الولاية وأعطاها مكانةً مستقلة بذاتها(61)، وأسندت إليها مهام لا تقتصر على مراقبة الأسواق والأسعار، وضبط الموازين، ومحاربة الغش، والقبض على المتلاعبين والمحتكرين، بل شملت متابعة ومراقبة النظام في داخل المدينة ومراقبة المشبوهين، والسعي من أجل إقرار مبادئ الشريعة وسيادة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(62).

وقد أقرّ الأمير عبد الرحمن الأوسط لمتولي هذا المنصب راتباً قدره ثلاثون ديناراً في الشهر(63).

د/ البحريـة:

كانت طبيعة بلاد الأندلس تحتم على الدولة أن تصبح دولة بحرية من الطراز الأول، لأن لها سواحل طويلة على البحر المتوسط من الشرق والجنوب وعلى المحيط الأطلسي من الغرب والشمال، وتسيطر على الحوض الغربي للبحر المتوسط، كما أنها حلقة وصل بين قارتي أوربا وأفريقيا (64). ولكن مع هذا لم تكن الأندلس تمتلك أسطولاً بحرياً منظماً إلى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (65)، فالاهتمام بالناحية البحرية كان قد اقتصر منذ عصر الولاة فقط على بناء دور لصناعة السفن، وكانت نواة القوة البحرية في عهد عبد الرحمن الداخل (66)، الذي

---

(61) ابن سعيد، المغرب: 1/ 46.

(62) كتاب أحكام السوق، ليحيى بن عمر، تحقيق: محمود علي مكي، بحث منشور في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد: 1956)، المجلد الرابع، العدد 1 . 2، ص94. 97 ؛ ابن خلدون، المقدمة: 1/ 225 ؛ فكري، قرطبة، ص 300.

(63) ابن سعيد، المغرب: 1/ 46.

(64) الأصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد،المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحيني (مصر: 1961)، ص 35 ؛ ابن عذاري، البيان: 2/ 1 ؛ الخربوطلي، علي حسين، الإسلام في حوض البحر المتوسط (بيروت: 1970)، ص 116 ؛ العبادي، عبد الحميد، المجمل في تاريخ الأندلس (مصر: 1958)، ص 168، 169.

(65) عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس (بيروت: 1969)، ص33.

(66) الدوري، عبد الرحمن الداخل، ص 250.

قام بإنشاء دور لصناعة السفن في طركونة،وطرطوشة، وأشبيلية، والمرية [67]، لكننا لم نعرف وقائع بحرية كبيرة تُذكر [68]، وهذا يدل على أنهم قد ركّزوا على قوتهم البرية أكثر من تركيزهم على قوتهم البحرية لانشغالهم بالقضاء على الاضطرابات الداخلية وحروبهم مع الممالك الشمالية والأفرنج، ولم يهتموا كثيراً بالقوة البحرية حتى عهد عبد الرحمن الأوسط عندما فوجئت البلاد بهجوم النورمان سنة 229 هـ . 844 م[69].

وقد وجّه الأمير عبد الرحمن الأوسط عدة حملات بحرية منها حملة سنة 214 هـ/ 829 م خرجت من ميناء طرطوشة إلى صقلية لتعزيز الحامية الإسلامية فيها[70].وفي سنة 221 هـ/ 836 م هاجم الأسطول الأندلسي مرسيليا وما حولها، وكانت هذه الحملة مقدمة لحملات عديدة متتالية نجحت في إقامة مراكز عربية في جنوب فرنسا وشمالي إيطاليا [71]. وفي سنة 229 هـ . 843 م هاجمت الأساطيل النورماندية السواحل الغربية للأندلس، في الوقت الذي كان فيه الأسطول الأندلسي مرابطاً على الساحل الشرقي [72]، وكان لهذا الهجوم الأثر الكبير في توجيه الاهتمام بالسواحل الغربية وتحصينها، فقام ببناء سور أشبيلية وبإشارة عبد الملك بن حبيب [73].

---

(67) شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب (بيروت: 1966)، ص 181.

(68) العبادي، المجمل، ص 169.

(69) سالم، المرية، ص 33 ؛ عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس (بيروت: 1969)، ص 148.

(70) ابن عذاري، البيان: 1/ 104.

(71) عنان، دولة الإسلام: 1/ 263.

(72) العذري، أحمد بن عمر بن أنس العذري، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق: عبد العزيز الأهواني (مدريد: 1965)، ص 98 ؛ ابن سعيد، المغرب: 1/ 49 ؛ ابن عذاري، البيان:2/ 87.

(73) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 84 ؛ ابن سعيد، المغرب: 1/ 49 ؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: 1975)، ص 59 ؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام (بيروت: د/ ت): 3/ 76.

كما قام الأمير عبد الرحمن الأوسط ببناء محارس ومراقب على طول الساحل الغربي المطل على المحيط وشحنها بالمقاتلة، وقام بإنشاء دار لصناعة السفن في أشبيلية وزوّدها بكل ما تحتاجه من آلات وقوارير النفط [74]، وسجّل عهده تنظيماً للبحرية الإسلامية وحشداً لطاقات الأندلس في هذا المجال، ويعتقد أن الأمير عبد الرحمن دعا إلى حشد جهود البحريين لخدمة البلاد في مقابل أرزاق معلومة، أي أنه استعان بالبحريين في إدارة أسطول قوي مزوّد بالآلات التي اختصت بصناعتها شلطيش[75] وقرمونة[76]، وكان من أثر ذلك أن أصبح لحكومة قرطبة أسطول ضخم مرهوب الجانب.

3 . الحركة العلمية:

تمثل الحركة العلمية جانباً مهماً من جوانب الحضارة العربية الإسلامية، ويشمل هذا الجانب كل ما يتعلق بالنشاط العلمي والأدبي والفكري والفني، وفي هذا المجال يقول كيب: إن أمراء الأندلس كانوا " حماة كرماء ومحبين أوفياء للعلم وأهله، وكانوا أكثر الناس سخاءً وجوداً في مناصرة الشريعة والتعليم، وهم أنفسهم في كثير من الأحيان لم يكونوا قاصرين في الأدب " [77]. وتعد فترة الأمير الحكم بن هشام فاتحة للنهضة العلمية بكل جوانبها، حيث ظهر في عهده كثير من أبعادها ومظاهرها التي اكتملت وبرزت بشكل واضح في عهد خليفته الأمير عبد الرحمن الأوسط. يقول ليفي بروفنسال: الحكم هو الذي مهّد للحضارة في عهد عبد الرحمن الأوسط [78]، حيث أصبحت الأندلس في عهده أحد مراكز الثقافة في

---

(74) ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 88 ؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (بيروت: 1962)، ص 285.

(75) شلطيش: جزيرة بالأندلس بقرب مدينة لبلة، ينظر الحميري، الروض، ص 343.

(76) قرمونة: مدينة كبيرة بالأندلس في الشرق من أشبيلية، ينظر: الحميري، الروض، ص461.

(77) مدنية العرب في الأندلس، ترجمة: تقي الدين الهلالي (بغداد: 1950)، ص 53 ؛ وينظر: الحسيني، محمد عبد العزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية (الكويت: د/ ت)، ص 141.

(78) حضارة العرب في الأندلس، ص 50.

العالم الإسلامي، فقد توفرت للأمير في أثناء حياة والده تربية وثقافة عاليتان، فأصبح شاعراً وعالماً بالشريعة والفلسفة والطب والحساب الذي برز كعلم دقيق وواضح في عهده (79)، وفي عهده بدأ تزايد العلماء الراحلين إلى العراق، فقد أوفد العالم عباس بن ناصح إلى بغداد فأتاه بكتاب السند هند (80). وكان للتجارة بين الأندلس والمشرق أثر آخر في انتقال المؤلفات العلمية ونشرها، فقد أهدى أحد تجار المشرق للأمير عبد الرحمن الأوسط، كتاب العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي تمكن عباس بن ناصح من تسهيل دراسته وفهمه لطلبة العلم(81).

كما كان للعلماء الوافدين إلى الأندلس أثر كبير في إغناء الحركة العلمية ونهضتها الشاملة في البلاد.

والعلوم التي اهتم بها المسلمون، قسمان:

القسم الأول . العلوم الشرعية أو علوم الرواية: وهي العلوم النقلية المستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي وأصل هذه العلوم كلها الشرعيات من الكتاب والسنّة (82)، ومن هذه العلوم، علوم القرآن الذي يتفرع إلى علم القراءات وعلم التفسير، وأشهر القراءات المنتشرة في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط هي قراءة الإمام نافع بن أبي نعيم(83)، التي أدخلها الغازي ابن قيس في عهد والده الحكم بن هشام، وعنها كان يأخذ المتعلم(84).

---

(79) ينظر: ابن سعيد، المغرب: 1/ 45 ؛ الشعراوي، الأمراء، ص 280 . 281.

(80) ابن سعيد، المغرب: 1/ 45، سيرد لاحقاً.

(81) أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة (دمشق: 1969): 1/ 184.

(82) ابن خلدون، المقدمة: 1/ 435.

(83) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي المقرئ المدني، قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة، وضع الإمام مالك بأنه إمام الناس في القراءة، أخذ عن شيوخ المدينة المشهورين، توفي سنة 169 هـ. ينظر: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، معرفة القرّاء الكبار، تحقيق: محمد سيد جاد الحق (القاهرة: 1969): 1/ 89 . 92.

(84) القاضي عياض، ترتيب المدارك: 30/ 114.

أما علم التفسير، فأبرز من ألّف فيه هو إبراهيم بن حسين بن خالد (ت 249 هـ/ 863 م)[85].

أما في مجال علوم الحديث، فقد وجد من اشتهر في الأندلس بهذا العلم، وكان جلّ اهتمام الأندلسيين متصلاً بعلوم الفقه، وأقلوا من رواية الحديث إلى عهد بقي بن مخلد (ت 276 هـ/ 888 م)[86]، ومحمد بن وضاح [87] (ت 287 هـ/ 900 م)[88]، وفي عهده أصبحت الأندلس دار حديث وإسناد[89].

أما علم الفقه فهو لغة العلم بالشيء والفهم له، واصطلاحاً العلم بالأحكام الشرعية[90]. وكان علم الفقه أول من اشتغل به الأندلسيون، وكان للفقيه عندهم والقاضي منزلة لا تضاهيها منزلة[91] ، ومن أبرز الفقهاء:

عيسى بن دينار، (ت 212هـ/ 828م)[92] من طليطلة، وكانت الفتوى تدور عليه في زمن الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن، وقيل: " فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيب، وعاقلها يحيى بن يحيى" [93]، ومن

(85) أبن الفرضي، علماء الأندلس: 1/ 8 ؛ القاضي عياض، تدريب المدارك: 4/ 242.
(86) ابن الفرضي، علماء الأندلس: 1/ 91 ؛ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، كتاب الصلة (القاهرة: 1966): 1/ 116.
(87) ابن الفرضي، علماء الأندلس: 2/ 17.
(88) المصدر نفسه.
(89) ابن الفرضي، علماء الأندلس: 1/ 93.
(90) عبد الكريم زيدان، الوجيز في أصول الفقه (بغداد: 1967)، ص 18 ؛ البياتي، منير حميد، والدوري قحطان عبد الرحمن، المدخل إلى الدين الإسلامي (بغداد: 1976)، ص81.
(91) لطفي عبد البديع، الإسلام في أسبانيا (القاهرة: 1958)، ص 40.
(92) ابن الفرضي، علماء الأندلس: 1/ 331 ؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 99.
(93) ينظر: ابن الفرضي، علماء الأندلس: 1/ 331 ؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: مكي، ص 42 ؛ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة: 1929): 5/ 195.

مؤلفاته: كتاب الهداية [94]، كتاب البيوع [95]، كتاب الصلاة، كتاب الجدار في الأقضية، وكتاب النكاح والطلاق [96]، ويحيى بن يحيى الليثي [97]، (ت 233 هـ . 847 م)[98]، كان عميد الفقهاء وشيخ قرطبة، وبه انتشر مذهب مالك [99]، وإسماعيل بن البشر بن محمد التجيبي، من قرطبة، كان مفتياً في أواخر عهد الأمير الحكم بن هشام وبداية عهد ابنه عبد الرحمن، وكان قد تولى الصلاة لعبد الرحمن، وتوفي في أيامه [100]، وعبد الملك بن حبيب، (ت 238هـ . 854م) وقيل سنة 239 هـ[101]، وهو من البيرة، استقدمه الأمير عبد الرحمن ورتبه في الفتوى مع يحيى بن يحيى وغيره في المشاورة والنظر، فلما مات يحيى انفرد عبد الملك برئاسة العلم في الأندلس، وترك عدة مؤلفات في الفقه والتاريخ والأدب، أشهرها الواضحة في السنن، والفقه في مذهب مالك [102].

---

(94) ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك: 19/3 ؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد (د/ م: 1968)، ص 12.

(95) ابن الفرضي، علماء الأندلس: 331/1 ؛ ابن حزم، فضائل الأندلس، ص 12؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك: 3/ 16.

(96) ابن حزم، فضائل الأندلس، ص 12.

(97) ابن الفرضي، علماء الأندلس: 2/ 179.

(98) ينظر: ابن الفرضي، علماء الأندلس: 2/ 179 ؛ ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (القاهرة: 1931): 1/ 301.

(99) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 383 ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص 511.

(100) ينظر: ترجمته في: ابن الفرضي، علماء الأندلس: 1/ 65.

(101) ابن الفرضي، علماء الأندلس: 1/ 272 ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص 283 ؛ ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مدح أهل الأندلس (مصر: 1325 هـ)، ص40؛ الذهبي، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد (الكويت: 1960): 1/ 427.

(102) ينظر ترجمته في: ابن الفرضي، علماء الأندلس: 1/ 269، 271 ؛ القاضي عياض، ترتيب المدارس: 4/ 127 ؛ الذهبي، أبو عبد الله محمد، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي (د/ م: 1963): 2/ 652 ؛ العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، تهذيب التهذيب (حيدر آباد: 1325 هـ): 6/ 390.

القسم الثاني . علوم اللغة والأدب: لقد أجمعت المصادر على وصف عبد الرحمن الأوسط بأنه كان أديباً وفقيهاً وحافظاً للقرآن وراوية للحديث [103]، ومن أشهر ما قاله هو قصيدته في جاريته طروب[104] ومطلعها:

فَقِدْتُ الهَوى مُذْ فَقَدْتُ الحَبيبا   فَما أقطَعُ اللَيْلَ إلاّ نَحيبا

وإذا ما بَدَتْ لي شَمسُ النهارِ   طالعةً ذَكّرَتْني طُروبا [105]

ومن الشعراء البارزين: عباس بن ناصح الثقفي الجزيري [106]، (ت 230 هـ . 846 م)[107]، وكان من أهل المعرفة والعلم، وُصِفَ بفحل الشعراء، بَيْدَ أنّ شعره قد ضاع ولم يصل إلينا منه إلاّ مجموعة قليلة [108]. ويحيى بن الحكم الجياني

---

(103) أخبار مجموعة، ص 135 ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 80.

(104) من جواريه المفضلات ومن أكثرهنّ سلطاناً عليه، وهي أم ابنه عبد الله، وإليها ينسب المسجد الواقع بصدر الربض الغربي بقرطبة، وقد اتهمت باشتراكها بمؤامرة لقتل الأمير بالاتفاق مع نصر كبير الفتيان، وقد شكك البعض بذلك لعدم ورود أية رواية تنص على معاقبة طروب من قبل عبد الرحمن الأوسط، رغم فعلتها، وقد تكون جارية أخرى غير طروب، فالجواري كثيرات في عصره. ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح، ص 96 . 97 ؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: 114/1، هامش (1) ؛ ابن عذارى، البيان: 2/ 92.

(105) ابن سعيد، المغرب: 1/ 46 . 47.

(106) هو عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي، وهو من أهل الجزيرة الخضراء، كنيته أبو العلاء، رحل به والده وهو صغير فنشأ بمصر وتردد على الحجاز طالباً للغة، ثم رحل إلى العراق فالتقى بالأصمعي وغيره من علماء البصرة والكوفة، ثم رجع إلى الأندلس. ينظر: ابن الفرضي، علماء الأندلس: 1/ 296 . 297 ؛ الزبيدي، أبو بكر محمد، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم (مصر: 1973)، ص 262.263؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك: 3/ 159 ؛ القفطي، جمال الدين أبو الحسن، أنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: 1952): 365/2 . 366 ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (مصر: 1326 هـ)، ص 276.

(107) السيوطي، بغية الوعاة، ص 276.

(108) ينظر: ابن سعيد، المغرب: 325/1 ؛ حكمة علي الأوسي، فصول في الأدب الأندلسي (بغداد: 1974)، ص 92.

الملقب بالغزال [109]، ويعد من أبرز شعراء القرن الثالث، وعاصر خمسة من الأمراء الأمويين، أولهم عبد الرحمن ابن معاوية وآخرهم محمد بن عبد الرحمن[110]، وكان الغزال " حكيم الأندلس، وشاعرها وعرافها"[111].

وعبد الله بن الشمر القرطبي، شاعر الأمير ونديمه، وكان مصاحباً له قبل توليه الحكم، وكان على قدر عالٍ من الثقافة[112].

وعباس بن فرناس[113]، (ت 274 هـ . 885 م) في عهد الأمير محمد [114]، وكان شاعراً وأديباً مشهوراً ونحوياً بارزاً من نحاة الأندلس، وكان متصرفاً في ضروب الاعراب، وعاصر ثلاثة من الأمراء الأندلسيين هم: الأمير الحكم، وعبد الرحمن، ومحمد، ومدح كل منهم، وقيل إن أكثر بروزه كان في زمن عبد الرحمن، فقد أبدع في فنون الفلسفة والفلك والموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالميقاتة " **لمعرفة الأوقات** "، وصنع ذات الحلق، وحاول الطيران لكنه فشل في محاولته، وبرع في الكيمياء الصناعية، وهو أول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة، وكانت له مخترعات أخرى كثيرة[115].

---

(109) هو أبو زكريا يحيى بن حكم، ولقّب بالغزال لجماله، وهو من جيان عاش طويلاً من سنة 154 . 250 هـ. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص 374 . 375 ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص 500، 501 ؛ المقري، النفح: 2/ 254، 260 ؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: د/ ت): 1/ 804.
EL Hajji , Abdurrahman , Andausian Diblomatic , Relationwith westren. Euraoe during the Umayyad period , (Beirut:) , P. .

(110) المقري، النفح: 2/ 254، 255 ؛ EL Hajji: op. cit

(111) المقري، النفح: 2/ 254، 255.

(112) ينظر: أخبار مجموعة، ص 137 . 138 ؛ أبن القوطية، افتتاح الأندلس، ص82-83.

(113) هو عباس بن فرناس بن ورداس أبو القاسم من تاكرنا. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص 318.

(114) الحميدي، جذوة المقتبس، ص 318 ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص 431.

(115) المصدر السابق نفسه.

ومن الشعراء، أبو عثمان الرشاش [116]، وإبراهيم بن سليمان الشامي [117]، وعبيد الله بن قرلمان[118]، وأبو محمد عبد الله بن بكر بن سابق الكلاعي[119].

وقد عرفت الأندلس إلى جانب الشعراء شاعرات يحسن قول الشعر، ومن أبرزهن حسانة التميمية [120]، وهي شاعرة من البيرة، وهي بنت الشاعر أبي المخشي، وكانت قد تأدبت على يديه، اشتهرت في عهدي الحكم وعبد الرحمن[121].

ومن الشاعرات، قلم [122]، وحمدونة وعلية بنتا علي بن نافع (زرياب) [123]. وعابدة المدنية وشفاء، ومتعة، وفضل، وفخر وإليهنّ ينسب دار المدنيات بالقصر [124].

(116) الرشاش، هو أبو عثمان سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش مولى بني أمية، وهو من قرطبة. ينظر: أبو سعيد، المغرب: 1/ 114.

(117) المقري، النفح: 3/ 121.

(118) ينظر: أخبار مجموعة، ص 139 . 141.

(119) ابن الأثير، الكامل: 7/ 51.

(120) شاعرة من البيرة، وهي بنت الشاعر أبي المخشي، وكانت قد تأدبت على يديه، ولا تذكر المصادر شيئاً عن ميلادها ووفاتها، غير أنها عاشت في زمن الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث. ينظر: المقري، النفح: 167/4 ؛ الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب (بيروت: 1974): 3/ 302 ؛ بالنثيا انخل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس (القاهرة: 1955)، ص57.

(121) ينظر: المقري، النفح: 167/4 و 168 ؛ عمر رضا كحالة، أعلام النساء (دمشق: 1959)، ص 217 و 218 ؛ عبد البديع صقر، شاعرات العرب (د/ م: 1967)، ص71.70 ؛ محمد عبد العزيز عثمان، المرأة العربية في الأندلس " بحث منشور " في مجلة المؤرخ العربي، العدد 13، 1980، ص 112 و 113.

(122) **قلم**: أندلسية الأصل، رومية من سبي البشكنس، وحملت صبية إلى المدينة وتعلمت هناك الغناء فحذقته، وهي أم ابنه أبان أبي الوليد، وكان أديباً. ينظر: ابن الآبار، الحلة السيراء: 366/2 ؛ المقري، النفح: 1/ 350، 3/ 140 ؛ كحالة، أعلام النساء: 4/ 219.

(123) المقري، النفح: 3/ 129 ؛ كحالة، أعلام النساء: 1/ 249 و 3/ 334.

(124) ينظر: المقري، النفح: 3/ 139 و 140 ؛ كحالة، أعلام النساء: 3/ 199.

4 . التطور الاقتصادي والاجتماعي:

شهدت الأندلس في هذه المدة ازدهاراً اقتصادياً شمل الصناعة والزراعة والتجارة[125]، وعمّ الرخاء عموم الأندلس حتى أطلق ابن سعيد على أيام الأمير عبد الرحمن " أيام العروس" [126]، فالأندلس بلد غني بغلاله الزراعية وموارده الطبيعية كثيرة [127]، وجازت الصناعة خلال هذه الفترة مرحلة من التطور والنهوض، ولم تقف عند حد الصناعات الخفيفة، بل شملت الصناعات الثقيلة كالسفن مثلاً [128]، ومن الصناعات الأخرى التي ظهرت صناعة المنسوجات، حيث قامت هذه الصناعة معتمدة على ما توافر من مواد أولية في أقاليم الأندلس [129]، وكان دار الطراز الذي أنشأه عبد الرحمن الأوسط في قرطبة يمثل قمة ذلك التقدم في مجال هذه الصناعة، فقد كانت هذا الدار تنسج ثياب الأمراء وكبار رجال الدولة من الحرير المتعدد الألوان الموّشى بالذهب[130].

أما التجارة فكانت الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من الأندلس المواجهة للبحر المتوسط مراكز تجارية مهمة، وعبر عصور التاريخ المختلفة[131].

وكنيتجة من نتائج هذا الازدهار، فقد بلغت الجباية على عهد عبد الرحمن الأوسط ألف ألف دينار في السنة [132]، كما أحدث في قرطبة دار السكة، وعهد

---

(125) ينظر: المقري، النفح: 1/ 197 . 200، 208.

(126) المغرب: 1/ 46.

(127) المقري، النفح: 1/ 162 . 163.

(128) الحميري، الروض المعطار، ص 391 ؛ أحمد بدر، دراسات، ص 125.

(129) ابن حوقل، محمد بن علي، صورة الأرض (بيروت: 1979، ص 109 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص 59.

(130) ابن خلدون، العبر: 4/ 138 ؛ سالم، قرطبة: 2/ 154 ؛ أحمد بدر، دراسات: 149/1.

(131) لويس أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى (القاهرة: 1960)، ص 260 ؛ أحمد بدر، دراسات: 1/ 152.

(132) ابن سعيد، المغرب: 1/ 46.

بادارتها إلى حارث بن أبي شبل، وضرب الدراهم باسمه، ولم يسبقه بهذا العمل أحد[133].

أما على صعيد التطور الاجتماعي نكتفي بالتحدث عن الدور الذي لعبه زرياب[134]، الذي رحل من بغداد إلى قرطبة في سنة (206 هـ . 821 م) فأحدث في المجتمع الأندلسي تغييراً كبيراً بما أشاع من عادات جديدة، فضلاً عن التطور الذي أصاب الموسيقى والغناء في الأندلس على يده [135]. فكان له حظاً وافراً من آداب اللياقة، وكان له ذوقه الخاص في اختيار الثياب المناسبة لكل فصل، فكان يرتدي الأقمشة الخفيفة صيفاً، ومعاطف الفراء شتاءً، وله ذوقه الخاص في تنسيق الموائد، وقد استحسن الناس ذوقه حتى في الأطعمة، فابتكر نوعاً من الطعام المسمى " التفايا " [136]، وهو أول من أدخل إلى المطعم الأسباني طعام الهليون[137]، وإليه ينسب نوع من الحلوى يسمى "زلابية "، ولعله تحريف زريابية، ومما قلده فيه أهل قرطبة ترتيب الشعر وتنظيمه، فكان هو وأولاده ونساءه يقصرون شعورهم دون جباههم فاستحسن الناس ذلك وكان فيصل الأناقة في بلاط عبد الرحمن[138].

---

(133) ابن سعيد، المغرب: 1/ 46.

(134) **زرياب:** (ت 238 هـ . 852 م) هو علي بن نافع الملقب زرياب، وهذا اللقب غلب عليه ببلاده لسواد لونه وفصاحة لسانه وحلاوة صفاته، فشبه بطائر أسود غرد عندهم. ينظر ابن حيان، المقتبس، ص 87 ؛ ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن، المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد (القاهرة: 1954)، ص 147 ؛ الذهبي، العبر: 1/ 420 ؛ ابن خلدون، تاريخ: 4/ 127.

(135) ينظر: المقري، النفح: 3/ 122 . 133 ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ، ص 425.

(136) **التفايا:** نوع من الطعام مصنوع بماء الكزبرى محلّى بالسنبوسق. ينظر: الحفني، محمود أحمد، زرياب (مصر: د/ ت)، ص 117.

(137) **الهليون:** بقلة لم يكن أهل الأندلس يعرفونها قبله، وقد سمّوها بلسانهم الاسفراج. ينظر: الحفني، زرياب، ص 117.

(138) ينظر: المقري، النفح:126/3 . 128؛ الحنفي، زرياب، ص115 . 118.

5 . الحركة العمرانية:

على الرغم من أن الفترة الأولى للفتح العربي الإسلامي للأندلس كانت تتخللها الاضطرابات، وخصوصاً في أثناء حكم الأمراء الأوائل بحيث لم تفسح لهم المجال للاهتمام بالجوانب الحضارية من عمران وبناء، إلاّ أننا لانعدم بوادر اشعاعات حضارية برزت لنا وبشكل واضح في عهد الأمير الحكم بن هشام (180 . 206هـ) (796 . 822م)، واستكملت جوانبها في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط.

وتتمثل الناحية العمرانية في بناء المدن والمنيات والمساجد والقصور [139]، والمرافق العامة، فمن المدن التي اختطت في عصره مدينة مرسية والتي بنيت سنة (210 هـ . 825 م) [140]، كما برزت ظاهرة بناء المنيات مثل منية نصر [141].

واهتم ببناء المساجد، فأكمل بناء المسجد الجامع بقرطبة، والذي سبق وابتدأ ببنائه الأمير عبد الرحمن الداخل سنة (169 هـ . 785 م)[142]. فضلاً عن ذلك قام ببناء جوامع عديدة في شتى كور الأندلس [143]، من أبرزها جامع أشبيلية ، والمسجد الجامع في جيان سنة 210 هـ . 825 م [144].

---

(139) يقول الزبيدي: **المنية:** اسم لعدة قرى، وقيل المنية كلمة مستعارة من اليونانية، وهي قبطية أيضاً بمعنى حديقة. ينظر: تاج العروس: 10/ 350، (مادة منى).

(140) العذري، نصوص، ص 6 ؛ ابن عذاري، البيان: 2/ 82 ؛ والحميري يجعل بناءها سنة 216 هـ. ينظر: الروض، ص 539.

(141) **نصر:** هو مولى الأمير ومن أكبر الفتيان في بلاطه، وكان قد اشترك في مؤامرة لاغتيال الأمير، ولكنه باء بالفشل وكانت نهايته أن مات بالسم الذي اعد لمولاه، وذلك سنة 236 هـ . 850 م. ينظر: ابن خلدون، تاريخ: 4/ 130.

(142) العذري، نصوص، ص 123 ؛ ابن الأثير، الكامل: 7/ 70.

(143) ابن الأثير، الكامل: 7/ 70 ؛ المراكشي، المعجب، ص 48.

(144) ينظر: ابن سعيد، المغرب: 1/ 45.

ومن المظاهر العمرانية البارزة هو بناء قصبة ماردة التي يسميها عامة الناس بالدير [145]، وسور أشبيلية والذي بناه بعد غزو النورمان لهذه المدينة في سنة (229 هـ . 844 م) وبإشارة من الفقيه عبد الملك بن حبيب [146]، كذلك بنى لنفسه قصراً بجوار قصر الإمارة القديم وجلب إليه الماء العذب من قمم الجبال المحيطة بقرطبة، وأقام فيه أبراجاً مغطاة بالزجاج الشفاف لتكشف المناظر الطبيعية التي أمامه، وكثيراً ما كان الأمير يصعد إلى هذه الأبراج ليسرح ببصره بهذه المناظر الجميلة[147].

---

(145) مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع (مصر: 1968)، ص 50.

(146) ينظر: ابن سعيد، المغرب: 1/ 45، 49 ؛ الحميري، الروض: ص 59.

(147) ينظر: ابن الأثير، الكامل: 7/ 70 ؛ العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص362.

Cultural Aspects in the Reign of the Prince Abdul-Rahmaan Al-Awssat

*Hadiya Mohammed

Abstract

The rise of the Islamic civilization in Andalus (spain currently) began since Amir Abdul Ramman II , 206 – 238 H after the death of his father AL-Hakam bin Hisham without any rivalry from his brothers. This is because Abdul Rahman had led many campigans in which he was the leader.

Amir Abdul Rahman II was considered the builder of civilization in Andalus as he became Amir of a harmonized powerful state against Spanish kingdoms in the North. He developed the internal polices in which the system of police had been developed as well. The attack of Normans in 229 H/ 843 A.D and their threatening led to building a powerful marine forces and ships. This means that the achievements of Abdul Rahman II had some political motives. In addition to that he encouraged the scientific movement.

He paid great attention to architectural movements. So he bulit many towns, places and mosques. His peace treaties affected positively on the rise of civilization and the growth of thinking. The age of Abdul Rahmman II is an age of stability and he was able to put down all internal rebellions and defeated the Spanish forces. So his age was considered the ideal among other periods on all political military and civil levels Military.

* Dep of History/ College of Arts/ University of Mosul.